المنهج التداولي في خطبة "أكثم بن صيفي عند "كسرى".

The pragmatic approach toThe sermon of Aktham Ben-Saifie is at a Kissra

حسين بوفناز *

جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، (الجزائر)، h.boufenaz@univ-boumerdes.dz

مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعلمية في الجزائر المركز الجامعي عبد الله مرسلي، تيبازة

د. سامية عليوات

جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة،(الجزائر)، samiaaliouat2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/20 تاريخ القبول: 2021/03/30 تاريخ النشر:2021/06/01

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم أحد أهم وأبرز المناهج اللسانية المعاصرة التّي تشتغل على الخطاب واستنطاق مقاصده ومعانيه؛ إنه – تحديدا– المنهج التداولي بما يوفره من نظريات وإجراءات واستراتيجيات منهجية ساهمت في إثراء آليات الدرس اللساني المعاصر في تحليل الخطاب، وخاصة بعد النقلة النوعية التّي عرفتها الدراسات اللسانية بانتقالها من لسانيات الوضع إلى لسانيات الاستعمال وربط النص بظروفه المقامية.

كلمات مفتاحية: اللسانيات المعاصرة، تحليل الخطاب، المنهج التداولي، المقصدية.

Abstract:

This study seeks to present one of the most important and prominent contemporary Linguistique approaches that work on speech and spread its purposes and its meaning; It is precisely the pragmatic approach, with its systematic theories, procedures and strategies that contributed to enriching the mechanisms of the contemporary Linguistique lesson in the analysis of the discourse, In particular, after the qualitative shift that the Linguistic studies have defined as its transition from the status tongue to the language-use and linking the text to its Denominator circumstances.

Key words: Contemporary Linguistique, speech analysis, The pragmatic approach, intentionat.

*المؤلف المرسل: حسين بوفناز، الإيميل: h.boufenaz@univ-boumerdes.dz

1. مقدمة:

إنّ اللّسانيات التداولية اتجاه لغوي ظهر وازدهر على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر؛ يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، ولعلّ هذا ما جعله أكثر دقة وضبطا، حيث يدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطَبين من منطلق كون اللغة فضاء يتفاعل فيه المتخاطبون ونشاط يمارس ضمن مجموعة من المعطيات السياقية المختلفة والمتنوعة .

لأجل ذلك وظفت التداولية عدة مفاهيم و إجراءات بغية تحليل الخطابات والنصوص قصد استكشاف مقاصدها، مستعينًا في توسيع رؤاها وتحاليلها بالعديد من الحقول المعرفية والمناهج الإنسانية المختلفة.

على هذا الأساس يمكننا إبراز معالم الإشكاليّة المطروحة لهذه الدراسة في التّساؤل الجوهري الآتي: ما مدى فاعلية المنهج التداولي في تحليل الخطاب واستنطاق معانيه ومقاصده ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى يتضح أثر "المنهج التداولي" في تفتيت الخطاب واستنطاق مقاصده وغاياته (الصريح منها والضمني)، آثرنا إنجاز دراسة تطبيقية تحليلية لـ (**خطبة أكثم بن صيفي عند كسرى**)[1]، قصد قياس مدى فعالية إجراءات المنهج التداولي، وذلك انطلاقا من نظرية "الفعل الكلامي" باعتبارها أحد أهم الأسس التّي قامت عليها اللسانيات التداولية في منظومة البحث اللغوي المعاصر.

2. التداولية: النشأة والمفهوم

بعدما كانت التداولية تنعت قبل عقود بسلة المهملات، أصبحت حقلا معرفيا خصبا ومتجددا، لا حدود تحده، ولا حواجز تمنعه من اقتحام حقول أخرى. و يمكن الحديث عن محطتين رئيسيتين كان لهما الدور البارز في ميلاد ما يعرف بالمنهج التداولي[2].

فبدايات التداولية تعود إلى 1938 حين تحدث (شارلز موريس- Charles Morris) عن "السيميائية" في أبعادها الثلاثة؛ البعد التركيبي، والبعد السيميائي الدلالي، وأخيرا البعد التداولي. يقول (موريس- Morris): «إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[3].

حيث ميّز (موريس- Morris) بين ثلاثة اختصاصات تعالج اللغة وهي: "علم التراكيب"؛ ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بعضها ببعض، و"علم الدلالة"؛ ويدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها، و"التداولية"؛ التّي تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها وتدرس كل ما له علاقة باللغة سواء أكان يعنى بشكل الخطاب من لغة أو إيماء أم بدلائلها أم بالدلالة وعلاقتها بالأشياء والحسيات الخارجية أم بالعلامات والإشارات، واستنتاجات الكلام أم بالفهم الضمني دون الحديث لتتم عملية التبليغ على أحسن وجه[4].

أمّا مرحلة الخمسينات فكانت حاسمة في صياغة معالم التداولية خاصة مع إلقاء (ج.أوستن- J. Austin) لمحاضراته بجامعة "هارفارد" حول فلسفة (وليام جيمس- William James)، حيث بلور في هذه المرحلة مبحثا محوريا تناقلته الدراسات التداولية اللاحقة، خاصة (ج.سورل- J. Searle)، مداره حول أفعال الكلام؛ وكيف أنّ كل منطوق لغوي هو إنجاز لحدث اجتماعي معيّن. علاوة على محاضرات (أوستن- Austin) كانت جهود (بول غرايس- Paul Grice) هي الأخرى مؤثرة وحاسمة، حيث بلور مقاله "Logic and conversation" أو ما يعرف بـ "نظرية المحادثة"، أوضح من خلالها أنّ تأويل ملفوظ ما يعتمد على عاملين: معنى الجملة المتلفظ بها من جهة، وسياق التلفظ بنوعيه الداخلي والخارجي ممثلا في المقامات التي ينجز فيها الخطاب من جهة ثانية، وإلى هذين العاملين أضاف (غرايس- Grice) ما سمّاه "مبدأ التعاون".

ولقد عرف مصطلح "التداولية" مدلولات عديدة لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة، فعدت «ملتقى لمصادر وأفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها»[5].

يقول (دومينيك مانقونو- Dominique Maingueneau) في هذا الصدد: «إنّه من الصعب الحديث عن التداولية، لأنّ هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة تتقاسم عددا من الأفكار(...)، واللّسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني»[6]. وهذا ما أكده (فان ديك- Van Dijk) في قوله: «هذا العلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا»[7].

هكذا اكتسبت التّداولية عدداً من التّعريفات، حسب اهتمام الباحث نفسه ومجال تخصّصه فقد عرّفها (إيليوار-Eluerd) بأنها: إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

- المتكلمين (المخاطِب والمخاطَب)
- السياق (المقام)
- الاستعمالات العادية للكلام ؛ أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع[8].

فالمقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي للخطاب، كما تدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطَب، ضمن سياق محدد، قصد إنجاز فعل اجتماعي محدّد.

وفي تصوّر رائد التداولية (أوستن-Austin) هي: «جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي»[9]، وفي هذا السياق ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى المستوى الاجتماعي، في نطاق التأثير والتأثر؛ أي أنّ مجال التداولية هو التفاعل والتواصل بين المتخاطبين وكل قول يتلفظ به هدفه إجرائي وتأثيري.

وهي بهذا «تخصّص لسانيّ يدرس كيفية استخدام الناس للأدلّة اللّغوية في صُلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»[10].

إنّ أهم ما ركزت عليه الأبحاث التداولية في مجال فهم النص/الخطاب هو النظر إلي الأداء الكلامي ضمن السياق – الداخلي والخارجي–؛ إذ لم يعد ذلك الأداء متعلقا بفهم اللغة بوصفها موضوعا مستقلا عن الممارسة، بل بتميزها وتفسيرها وفقا لتحديد الاستعمال اللساني؛ أي اعتبار الخطاب «إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التّي يؤديها في هذه الظروف»[11].

فالتواصل مبني على التبادل الكلامي بين متكلم يوجه كلامه نحو متلقٍ قصد الفهم والتفاهم على نحو معيّن لإقناع المخاطَب والتأثير في موقفه من خلال توجيهه وجهة ما يبتغيها المتكلم ويسعى إليها. وعُدّت كذلك «لأنّها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم، وأغراض كلامه؛ فالمعنى لا يستقى من البنية وحدها وهي الجانب اللغوي منه، بل من الجانب السياقي أيضا»[12].

وعليه يمكن تحديد أهم العناصر التي يهتمُ بها المنظرون للتّداولية في« المرسل، وقصده، ونواياه، والمتلقّي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة»[13]، كما يتضح أنّ التداولية أصبحت تعنى بتحليل العلاقة بين النص ومستعملي اللغة فهي تدرس الجانب الحي للغة أي الجانب التواصلي لأنّ هذا الجانب ظلّ مستبعدا من قبل اللسانيين الذين ركّزوا في دراساتهم اللغوية على علم التراكيب" Syntaxe" وعلم الدلالة "Semantique"، فاللّغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها وتنحصر في علمي النحو والمعاني بل إنّ الاتصال يلعب دورا فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة[14].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك أنّ «تحليل الخطاب بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال، لذلك لا يمكن أن نحصره في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض والوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس، وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة، فإن مُحلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله»[15].

وهذا ما أشار إليه (**ميخائيل باختين Mikhail Bakhtine**) حين قال: «إن دراسة الخطاب في حد ذاته، بدون معرفة نحو أي شيء يتطلع خارجه، هي في مثل عبثية دراسة عذاب أخلاقي بعيدا عن الواقع الذي يوجد مثبتا عليه والذي يحدده»[16].

وهذا يعني أنّ التداوليات هي ذلك العلم الذي يدرس المعنى، مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق الذي ينجز ضمنه الخطاب ومراعاة كل ما يحيط به من أحوال وما يخضع له من مقاصد المتكلمين، أكثر من اهتمامها بالحقيقة، أو بالتركيب.

فمعتقدات المتكلّم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثّقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظّروف المكانية والزمانية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التّداولية[17]، وذلك قصد تحقيق الفهم والتفاهم، ومن ثمّ الإقناع والتأثير.

وقد عُدّت التداولية علما له مبادئه، واتجاهاته، ويعتمد على آليات يقوم عليها، منها النظرية الحجاجية، والاستلزام الحواري، ونظرية أفعال الكلام...الخ، هذه الأخيرة أثرنا أن تكون –مثلما سبق وأشرنا– هي الجانب التطبيقي في دراستنا؛ حيث كان الباعث للتركيز عليها تحديدا هو: أنّ كل اتصال لغوي يقتضي فعلا كلاميا، ومن ثم فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنّما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية على رأي (أوستن–Austin).

3. نظرية الفعل الكلامي

بالرجوع إلى ما كتبه كل من الفيلسوف (**أوستن Austin**) مؤسس هذه النظرية وتلميذه (**سورل Searle**) الذي طورها من بعده نجد أن "الفعل الكلامي" عندهما يعني :التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ومن هنا فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، وهو مفهوم نظري حديث النشأة، وهو ذو طباع اجتماعي يتحقق بمجرد التلفظ به من أجل إنجاح عملية التواصل[18].

وهذا يعني أنّ «الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه»[19].

وقد بدأ (**أوستن**) أبحاثه انطلاقا من إنكاره من أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي وصف حال الواقع وصفا يكون إما صادقا أو كاذبا وأطلق عليه المغالطة الوصفية أو الإبهام الوصفي، حيث ميّز (**أوستن**) تبعا لذلك بين نوعين من الأفعال: الأولى إخبارية؛ أي تخبر عن واقع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة، أمّا الثانية فهي إنجازية؛ ميزتها أنّ تلفّظها ينتج عنه إنجاز الحدث أو الواقع الذي تصفه، حيث تستخدم لإنجاز فعل ما كالنهي والاعتذار والتهنئة والترحيب والنصح...الخ

ولا تتحقق –حسب أوستن– إنجازية هذه العبارات إلاّ عبر مجموعة من الشروط سمّا النوع الأول منها بشروط الملائمة، في حين سمّا النوع الثاني بالشروط القياسية، فأمّا شروط الملائمة فيمكن حصرها في:[20]

- أن يتوفر لها إجراء عرفي مقبول، وأن يكون له تأثيره العرفي أيضا مثل الزواج والطلاق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أن يشتمل الإجراء العرفي على التلفظ بكلمات محددة من قبل أشخاص محددين في ظروف محددة.
- أن يكون الأشخاص المحددون مؤهلين لتنفيذ الإجراء.
- أن يتم تنفيذ الإجراء العرفي على نحو صحيح من قبل جميع المشاركين فيه، على أن يكون هذا التنفيذ صحيحا وكاملا.

هذا فيما يخص شروط الملائمة، أمّا فيما يتعلق بالنوع الثاني من شروط تحقق الفعل الإنجازي للعبارات اللغوية –الشروط القياسية– فقد لخصها (أوستن) في ثلاث نقاط أساسية هي:

- صدق المشارك في الإجراء في أفكاره.
- صدق المشارك في الإجراء في مشاعره، ونواياه.
- التزام المشارك في الإجراء بما يلزم نفسه به

ثمّ لاحظ (**أوستن**) بعد ذلك أنّه يمكن تقدير فعل وفق الشروط المذكورة في العبارات الإخبارية (الوصفية)، لتصير إنجازية هي الأخرى؛ وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين: الأولى "إنجازية مباشرة"، فعلها ظاهر كالأمر، النهي، الدعاء...الخ، أمّا الثانية فهي "إنجازية غير مباشرة.

وانطلاقا من مفهوم (**أوستن**) للقوة الإنجازية، فقد ميّز بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية كالآتي:[21]

- **الأفعال الحكمية:** ومن أمثلتها: حكم، وعد، وصف...الخ
- **الأفعال التنفيذية:** وتقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد، مثل: عيّن، أعلن، أمر، الطرد...الخ
- **الأفعال الوعدية:** وهي أفعال تلزم المتكلم: وعد، تمنى، التزم بعقد، تمنى...الخ
- **الأفعال العرضية:** عرض مفاهيم نحو: أكد، أنكر، أجاب، وهب...الخ
- **أفعال السلوكات:** وهي ردود أفعال؛ تعبيرات تجاه سلوك مثل: اعتذر، هنّأ، حيّى، رحّب...الخ

وبعد (**أوستن**) جاء تلميذه (**سورل**) الذي طوّر نظرية "الأفعال الكلامية" التي جاء بها (**أوستن**)، حيث قام (سورل) بتطوير شروط الملائمة عند (أوستن)، والتّي إذا تحققت في الفعل الكلامي يتحقق إنجازه في الواقع، وهذه الشروط هي:[22]

- **شرط المحتوى القضوي:** وهي التي تحدد أوصاف المضمون المعبّر عنه بقول مخصوص، من خلال قضية تقوم على متحدث عنه أو مرجع، ومتحدث به أو خبر.
- **الشرط التّمهيدي:** وهي ذات صلة بمقام التّواصل، وبما يعرفه المتكلم عن قدرات واعتقادات المستمع، وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما (موقع قوة، السلطة المناسبة...الخ).
- **شرط الصدق (الإخلاص):** وهي التي تحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم بالمتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلّمي، فلا يقول المتكلم غير ما يعتقد وألاّ يزعم القدرة على فعل ما لا يستطيع.
- **الشرط الجوهري (الأساسي):** ويعيّن هذا الشرط الغرض التواصلي من الفعل التكلّمي، هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معيّنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإضافة إلى ذلك فإنّ (**سورل**) سرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف للأفعال الكلامية، حيث جاءت تقسيماته على النحو الآتي:[23]

- **الإخباريات**: والتّي يكون الهدف منها تطويع المتكلم، ويجب أن تتطابق الكلمات مع العالم، والحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى (الصدق)، مهما كانت درجة القوة، ومثال ذلك: سيأتي غدا.. الخ.
- **الطلبيات**: ويكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، ويجب أن يطابق العالم الكلمات وتكون الحالة النفسية تتراوح بين اللين والإلزام.
- **الوعديات**: ويكون الهدف منها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل، ويجب أن يطابق العالم الكلمات، والحالة النفسية الواجبة هي صدق النية.
- **الافصاحيات**: يكون الهدف منها هو التعبير عن الحالة النفسية، بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، ومن أمثلتها أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار، والتعزية...الخ
- **الإنجازيات**: يكون الهدف منها إحداث واقعة؛ وحيث يكون التوافق بين الكلمات والعالم مباشرا، بحيث يطابق المحتوى القضوي العالم بمجرد الإنشاء الناجح للفعل الكلامي، مثل أعلن، أصرح...الخ.

كما لم يَجِد (**سورل**) عن أستاذه (**أوستن**) في تفرقته بين نوعين من الأفعال الكلامية: مباشرة وغير مباشرة؛ فالأولى أن يكون القول مطابقا لقصد المتكلم بصورة حرفية وتامة، في حين أنّ الثانية هي التّي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم؛ إذ تتعلق بالمعنى المفهوم من وراء اللفظ.

4. الإطار التطبيقي

نموذج1: «**إنَّ أفضلَ الأشياءِ أعاليها، وأعلى الرِّجالِ مُلوكُها، وأفضلَ الملوكِ أعَمُّها نفعًا**»[24].

يفتتح "أكثم" خطبته بإخبار ملك الفرس "كسرى" أنّ أفضل الأشياء وأسمى الأماكن ذراها وقممها العالية لما تتمتع به من شموخ ورحابة وحرية، وأنّ أشرف الرجال وأعلاهم منزلة وشرفا هم الملوك، غير أنّ هؤلاء الملوك صنفان: صنف ظالم مُتجبر، وصنف عادل نافع لرعيته. وقد اشتملت العبارة بناءً على ذلك على فعلين لغويين إنجازيين هما:

- **فعل لغوي مباشر**: ويتمثل في فعل الإخبار.
- **فعل لغوي غير مباشر**: وهو نصح وتوجيه غير مباشر من (**أكثم بن صيفي**) لـ(**كسرى**) بوجوب الاتصاف بصفة الملوك الشرفاء وما يتبع هذا الشرف من عدل ونفع للرعية وعدم التجبر والتسلّط واستعباد للرعية.

نموذج2: «**وخيرَ الأزمنةِ أَخْصَبُها**»[25].

في هذه العبارة فعل كلامي مباشر هو الإخبار عن شخص (أكثم) دائما، مخبرا (كسرى) بأنّ أفضل الأزمنة والعصور أكثرها خصوبة بخيرات أرضها وعدل ملوكها وأنفعهم لأهلهم وحرصهم على ازدهار أرضهم.

وإذا كانت القوة الإنجازية المباشرة لهذه العبارة هي الإخبار، فإنها انطوت كذلك على قوة إنجازية مستلزمة، وهذه القوة هي التوجيه الضمني لـ(كسرى) بأن يجعل عصره وزمنه خصبا يذكره به الناس ويتفاخرون بفترة ملكه وحكمه، ليُظهر لملك الفرس أنّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في العرب من يفهم في أمور الحكم، والحياة، وأنهم يملكون عقولًا كبيرة، وبصائر نافذة، ويمكنه أن يستفيد منهم ومن بصيرتهم في الحياة. وبالتالي فإنّ بنية الفعل الكلامي في هذه العبارة:

- **الإخبار** (هو القوة الإنجازية الحرفية)
- **التوجيه** (وهو القوة الإنجازية المستلزمة).

نموذج3: «**وأفضلَ الخُطَباءِ أَصْدَقُها (...) الصِّدقُ مَنْجَاةٌ، والكَذِبُ مَهْوَاةٌ** »[26].

إنّ (أكثم بن صيفي) يُخبر ههنا المخاطَب بالترفع والاستعلاء عن الكذب والخداع والنفاق فما على هذا ينبغي أن يكون سيد القوم، بل أفضل الخطباء والملوك من يصدق في قوله وفعله.

ففي هذه العبارة أمر ونهي، أمر بالإقبال على الصدق في الكلام، وفيها نهي عن الوقوع في مخالب الكذب والنفاق، وعليه فقد احتوت هذه العبارة على فعل مباشر يقابله في الطرف الآخر فعلين انجازيين مستلزمين عن الفعل المباشر، لتأتي بناء على ذلك بنية الفعل الكلامي لهذه العبارة على النحو الآتي:

- **الفعل المباشر**: الإخبار
- **القوة الإنجازية الأولى لفعل الإخبار**: هي الترغيب بالصدق في الكلام.
- **القوة الإنجازية الثانية لفعل الإخبار**: هي الترفع والاستعلاء عن الكذب والنفاق في الكلام.

نموذج4: «**آفَةُ الرَّأي الهوى، والعَجْزُ مِفْتاحُ الفَقْرِ، وخيرُ الأمورِ الصَّبرُ**»[27].

في هذه العبارة فعلين ضمنيين أو لِنقل معنيين مستلزمين عن الفعل المباشر (فعل الإخبار)، أمّا الفعل الكلامي الأول المستلزم عن فعل الإخبار في هذا الحديث فهو التنبيه والتحذير من آفة إتباع هوى النفس بدل العقل والحزم في اتخاذ القرارات، بينما جاء الفعل الكلامي الثاني المستلزم عن الفعل المباشر في صورة الترغيب بالصبر والدعوة إليه باعتباره مفتاح الفرج وقت الشدائد والمحن.

إذا الغرض الإنجازي الذي يريد (أكثم) تحقيقه من هذا الحديث هو التنبيه من مزالق الهوى

من جهة والتحلي بالصفات الحميدة التّي عدّ الصبر أهمها وأنفعها، وهي ولا شك أهم مميّزات الفرد العربي المسلم، والتّي يجب على باقي الأمم والحضارات التحلّي والعمل بها.

نموذج5: «**إصلاحُ فَسَادِ الرَّعِيَّةِ خيرٌ مِن إصلاحِ فَسَادِ الرَّاعِي، مَن فَسَدَتْ بِطَانَتُه كان كالغاصّ بالماءِ**»[28].

يخبر (أكثم) ملك الفرس (كسرى) في هذه العبارة أنّ إصلاح فساد الرعية ورعايتهم ومناقشة أحوالهم أهم بكثير من محاولة إصلاح حال الراعي ، ويريد (أكثم) هاهنا بالصلاح مستوى المعيشة والإنفاق ونشر محاسن الأخلاق؛ وذلك من منطلق كون صلاح الرعية هو في الأصل صلاح وفلاح للراعي. وقد اشتملت العبارة على فعلين لغويين انجازيين هما:

- **فعل لغوي مباشر**: الإخبار.
- **فعل لغوي غير مباشر**: وهو النصح والإرشاد.

نموذج6: «**شَرُّ البِلادِ بِلادٌ لا أميرَ بها ، شَرُّ الملوكِ مَن خَافَهُ البَرِيءُ، خيرُ الأعوانِ مَن لم يُرَاءِ بالنَّصيحةِ**»[29].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذا النص فعل كلامي مباشر هو الإخبار عن نتيجة وحال البلاد دون أمير، فأسوأ البلدان –حسب أكثم– هي التّي لا يوجد فيها ملك يحكمها وبالتالي غياب القانون وانتشار الفوضى في البلاد، وأنّ أسوأ هؤلاء الملوك الظالمون من لا يأمن في حكمهم الأبرياء والبسطاء، ويضيف (أكثم) أنّ أفضل الأصحاب وقت الشّدة هم من يصدقوك النصيحة دون نفاق أو خداع. ويمكن إيجاز أهم الأخبار الواردة في هذه العبارة في:

- **شَرُّ البِلادِ بِلادٌ لا أميرَ بها.**
- **شَرُّ الملوكِ مَن خَافَهُ البَرِيءُ.**
- **خيرُ الأعوانِ مَن لم يُرَاءِ بالنَّصيحةِ.**

فإذا كانت القوة الإنجازية المباشرة لهذا الحديث هي الإخبار، فإنها تنطوي في الوقت نفسه على قوة إنجازية مستلزمة هي النصح والتنبيه. وبذلك اشتمل النص على فعلين لغويين إنجازيين هما:

- **فعل لغوي مباشر**: الإخبار.
- **فعل لغوي غير مباشر**: وهو النصح والتنبيه.

نموذج7: «**يكفيكَ مِن الزَّادَ ما بَلَّغَك المَحَلَّ**»[30].

إنّ هذا الكلام يندرج ضمن صنف الإخباريات لما احتوى عليه من معلومات أفادت المخاطَب، غير أنّها تنطوي في الوقت نفسه على قوة إنجازية مستلزمة تحمل فعلين لغويين غير مباشرين؛ أولاهما: تمثل في فعل التوجيه وما تضمنه من نصح بالاكتفاء من المؤونة والزاد بما يَسُد الحاجة ويكف السؤال الذي يورث الذل والمهانة والضعف. أمّا ثانيهما فيتضمن فعل النهي والتحذير؛ النهي أولا عن الطمع والجشع الذي يُشوه من صورة الراعي في عيون رعيته، فلا ينال منهم الاحترام والطاعة. والتحذير ثانيا لِما يمكن أن يترتب على ذلك من فتن قد تعصف باستقرار الدولة وأمنها وهيبتها. هكذا، نلاحظ كيف اشتمل هذا المقطع إلى جانب فعل الإخبار على فعلين لغويين إنجازيين مستلزمين عن فعل الإخبار، هما على التوالي:

- **فعل لغوي غير مباشر أول**: النصح.
- **فعل لغوي غير مباشر ثاني**: وهو النهي والتحذير.

نموذج8: «**مَن شَدَّدَ نَفَّرَ، ومَن تَرَاخَى تَأَلَّف**»[31].

إذا كانت القوة الإنجازية المباشرة لهذه العبارة هي التوصية من باب النصح، فإنها تنطوي على قوة إنجازية مستلزمة تُفهم وتُدرك عن طريق مفهوم الموافقة، وهذه القوة هي الترغيب في المعاملة بالحسنى والتيسير على المعسر، ذلك أنّ الغرض الإنجازي من هذه الوصية من طرف (أكثم) ليس من باب التوصية والنصح فقط، وإنما من باب الحث على معاملة المسلم لأخيه المسلم معاملة يسر وحسن وعفو، ذلك أنّ القسوة تولد النفور والكراهية، في حين يحقق التودد والتآخي الحب والألفة والمودة حتّى كأنّ الذي بينك وبينه كراهية وعداوة كأنّه ولي حميم، وبالتالي تكون بنية الفعل الكلامي لهذا المقطع على النحو الآتي:

- **القوة الإنجازية الحرفية**: هي الإخبار.
- **القوة الإنجازية المستلزمة**: وهي الترغيب والحث على المودة والرفق في المعاملة.

5. خاتمة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أفضت الدراسة في هذا البحث إلى جملة من النتائج، تتعلق في مجملها بإجراءات وآليات المنهج التداولي في تحليل الخطاب، والذي يمكن من خلالها أن نتجاوز المعنى السطحي المباشر إلى المعنى الضمني المستلزم عن الفعل المباشر لاعتبارات عديدة يفرضها مقام الخطاب والمشاركين فيه...الخ، ويمكن إيجاز أبرز النتائج التّي خلصت إليها الدراسة في النقاط الآتية:

- إن المنهج التداولي يعد من أنجع المناهج في تحليل النصوص والخطابات وتشريحها بغية استنطاق الضمني من معانيها؛ ذلك أنّ المنهج التداولي لا يقتصر على النظر في تراكيب الخطاب ونظامه اللغوي نظرة وصفية بنيوية، بل يتعدى ذلك إلى كل الظروف والملابسات المحيطة والمصاحبة لعملية التواصل، بغية الوقوف على أقرب المعاني له، فالمنهج الوصفي الذي نادى به (فرديناند دي سوسير-Ferdinand de Saussure) يهتم بدراسة اللغة ، أما المنهج التداولي فهو يهتم بدراسة الكلام.

- تسعى التداولية إلى الإجابة عن أسئلة من قبيل : من المتكلم وإلى من نتكلم؟ ماذا نقول تحديدا عندما نتكلم؟ كيف نقول كلاما ونقصد كلاما آخر؟

- إن المنهج التداولي من المناهج اللسانية الجديدة، وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية واضحة وناجحة.

- نجاح الخطاب التداولي مرهون بامتلاك المخاطِب كفاءة تواصلية ولغوية وحجاجية تتحدد أساسا في مهارة التحليل، ومهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار، ومهارة فهم الآخر وحسن توجيهه ومن ثمّ إقناعه، وهذا ما بدا جليا في خطبة (أكثم بن صيفي).

- إنّ اللسانيات التداولية بما هي دراسة للغة في استخدامها وإنجازها الفعلي أي في سياق استعمالها

وتوظيفها تسعى بشكل خاص إلى فهم الضمني من الكلام وتأويله، من خلال التركيز على جملة من العناصر الأساسية في العملية التواصلية أهمّها المخاطِب، والمخاطَب، والسياق، والمقصدية التي يسعى المخاطَب الوصول إليها بإدراك سياق الكلام، والافتراضات والمعارف المشتركة بينه وبين منجز الخطاب.

- إنّ (أكثم) في هذه الخطبة يعرض من واقع تجاربه وفطنته البالغة مجموعة من الأخبار والنصائح التي من شأنها بناء المجتمع بناء سليما محكما على أساس سليم مجتمعا يتسم بالإيجابية في التصرف والسلوك بعيدا عن السلبيات ، وقد تضمنت تلك الأخبار والنصائح مجموعة من الأفعال الإنجازية الضمنية المستلزمة عن المعنى الحرفي المباشر تراوحت بين النهي والتحذير والنصح والإرشاد والترغيب والتوجيه...الخ.

- إنّ (أكثم) بما يُقدم من أخبار ومعلومات يهدف إلى إيصال جملة من المقاصد والأهداف التي **لا** يسمح سياق الكلام والخلفية المسبقة عن المخاطَب ومكانته بالتعبير عنها صراحة وبشكل مباشر حفظا لماء وجه المتخاطبين -كما يرى ليفنسون.Levinson- وبالتالي ضمان نجاح العملية التواصلية واستمرارها وتحقيق أهدافها الإقناعية التي على أساسها انبنى الخطاب.

6. قائمة الإحالات:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[1] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (بيروت، لبنان، 2008)، ص 132.

[2] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، (عمان، 2016م)، ص20، بتصرف.

[3] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، (الرباط، المغرب، 1986م)، ص43.

[4] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط1، (الجزائر ، 2000م)، ص185.

[5] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس لعربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، (سطيف، الجزائر، 2009م)، ص63.

[6] المرجع نفسه، ص63-64.

[7] فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1 (القاهرة، 2001م)، ص114.

[8] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، مرجع سابق، ص 176-177.

[9] راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب، دمشق، سوريا، العدد، 399، 2004م، ص56.

[10] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة محمد يحياتن، (الجزائر، 1992م)، ص01.

[11] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، (الرباط، المغرب، 2001م)، ص17.

[12] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص71.

[13] بوقره نعمان، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، (يناير ،2006م)، ص 83.

[14] ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، (الدار البيضاء ، 2002م)، ص 169.

[15] جيلان براون، جورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة حمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، (جامعة الملك سعود، الرياض،1997م)، ص01.

[16] – ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، ط1، (القاهرة، 1998م)، ص63.

[17] عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، ط1، (عمان، الأردن ، 2004م)، ص120.

[18] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة للطباعة و النشر، ط1، (بيروت، لبنان، 2005م)، ص 10-11.

[19] فان ديك، علم النّص، مدخل متداخل الاختصاصات، مرجع سابق، ص18.

[20] المرجع نفسه، ص45.

[21] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص97.

[22] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، (المغرب، 1998م) ص261، بتصرف.

[23] فيليب بلانشيه، التّداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتّوزيع، ط1، (سوريا، 2007م)، ص66، بتصرف.

[24] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مرجع سابق، ص132.

[25] المرجع نفسه، ص132.

[26] المرجع نفسه، ص132.

[27] المرجع نفسه، ص132.

[28] المرجع نفسه، ص132.

[29] المرجع نفسه، ص132-133.

[30] المرجع نفسه، ص133.

[31] المرجع نفسه، ص133.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com